

الهاتف النقال: وسيلة تقنية أم ظاهرة اجتماعية؟

أ. كياس عبد الرشيد

جامعة جيجل

الملخص:

إن أحد أهم التطورات التكنولوجية التي عرفها العالم المعاصر هي الهاتف النقال ، الذي أحدث نقلة نوعية في مجالات الحياة الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية وغيرها و ألقى بظلاله أيضا على مناحي الحياة العامة للإنسان. لقد بدأ الهاتف النقال كتقنية اتصالية و كاكشاف علمي مبهر، لكنه ما لبث أن أصبح وسيلة متعددة الاستخدامات بين أفراد المجتمع على اختلاف انتماءاتهم أضاف سلوكا جديدا وخلق عادات غير مسبوقة و أنشأ علاقات متنوعة، وفي وقت قصير تمكنت هذه الوسيلة من الانتشار بصورة لم تحققها أي وسيلة أخرى و أصبحت ظاهرة اجتماعية زادت من ضيق مساحة القرية العالمية ومن نشاطها، تربت عنها آثارا متعددة اختلف كثيرا في كونها آثارا إيجابية أو سلبية ، كما كانت في نفس الوقت موضوعا للدراسات العلمية متعددة ومتداخلة الاختصاصات.

الكلمات المفتاحية: الهاتف النقال - اتصال - تقنية - ظاهرة اجتماعية - آثار.

مقدمة:

تعد التحولات العميقة والسريعة أبرز السمات التي شهدتها العالم نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحادي والعشرين، شكلت أيضا طفرة نوعية في تاريخ أغلب المجتمعات، ارتكزت بشكل أساسي على التقدم التقني الكبير خصوصا في مجال الاتصالات الذي أطلق عليه "فيليب بروتون" و "سرج برولكس" (Philippe Breton ,Serge Proulx) تسمية الانفجار الاتصالي في القرن الواحد والعشرون.¹

إن الاتصال وإن كان من أقدم الظواهر الاجتماعية إلا أنه في الزمن الحديث والمعاصر شهد تغيرات سريعة وتطورا مذهلا يفوق تطور العصور السابقة مجتمعة، يمكن ملاحظة ذلك على مستوى أجهزة الكمبيوتر والأقمار الصناعية واستخدامات التقنية الرقمية، حتى أصبحت البيئة الاتصالية بيئة جديدة غدت الوسائل القديمة فيها قليلة النفع وغير مجدية في كثير من الأحيان، أما الوسائل الجديدة وبفضل تقنيتها المستمرة وكذا رقميتها وما توفره من إمكانيات مذهلة أدت إلى وضوح عال للصورة ونقاء جيد للصوت، وقدرة على دمج المعلومات مع الصوت والصورة باستخدام الوسائط، فإنها فتحت المجال نحو التنبؤ بمستقبل مجتمع بشري تصبح فيه التقنية حتمية تتحكم في حياة الناس وتصنعها في الوقت الذي يقومون هم أنفسهم بصناعتها فيه. فالخاصية الرقمية هي السمة الأساسية الغالبة الآن في كل نشاط إنساني، بل ويقاس مدى التطور في المجتمع بمدى انتشار الرقمنة واستخدامها فيه مما يعني أن الوسائل التكنولوجية قد أحدثت تأثيرها على البنية السوسولوجية والثقافية للمجتمعات الإنسانية، يبدو ذلك في أنماط حياة الناس وسلوكهم الاجتماعي وتصرفاتهم. وهكذا يبدو أن عصر ما بعد الصناعة قد عدل كثيرا من المتغيرات التنظيمية والإنتاجية في جميع أنحاء العالم بتحويلها إلى سوق متكاملة مركبة من عناصر ثقافية واقتصادية على حد سواء متشابكة للغاية، ويعتبر تحول الدور الذي تلعبه التكنولوجيا في العلاقات الاجتماعية أحد أهم سمات التحول العميق للعالم المعاصر، إنها تشكل قضية مركزية في تكوين وإعادة تأسيس العلاقات الإنسانية خصوصا عند فئة الشباب إذ بفضل الانفتاح الذهني والسعي إلى الجديد يميل هؤلاء إلى التكنولوجيا الجديدة ويعملون بها.²

أولاً: مدخل... بصيغة إشكال:

إن من أهم الوسائل التكنولوجية التي اكتسحت المجتمع البشري؛ الهاتف النقال، الذي عرف ولازال يعرف نجاحاً عالمياً استجابة لحاجة الاتصال السريع مؤثراً وبقوة على حياة الأفراد اليومية والمهنية، فهو من أهم المبتكرات التي جعلت العالم في رباط واحد "إنها فكرة القرية العالمية"³. لقد انتشر الهاتف النقال على نطاق واسع وتغلغل في أوساط جميع الفئات الاجتماعية كما تنوعت استخداماته فكان لأثر الخدمات التي يقدمها مفعول السحر، إذ يعترف الكثير من أفراد المجتمع لبعضهم البعض بفعاليتها ودورها الكبير في تسريع أداء أعمالهم وتقريب المسافات واختزال الوقت بإدامة عملية التواصل الاجتماعي بينهم. ويبدو أن الهاتف النقال لازال مستمراً في اجتذاب الأفراد إليه بفعل التطورات المتلاحقة لأجياله ذات الدقة المتناهية والسرعة العالية والتطبيقات المتنوعة ناهيك عن شكله الخارجي المبهر. وقد كان الانبهار به أول الأمر مدعاة إلى مواكبة العصر فشكّل امتلاكه حينذاك نوعاً من الاستعلاء الاجتماعي لاسيما مع غلاء أسعاره، لكن الشروع في استعماله والاستفادة المستمرة من خدماته وتدني أسعاره كانت نقطة البداية للدخول في عالم لم يتوقع أحد ما هو عليه اليوم ولهذا قال عنه أنتوني غدنز في مطلع سنة 2000 "إنه قد يتحول في المستقبل القريب إلى ما يشبه جهاز المذياع أو التلفاز في قدرته مع تبادل الاتصالات وعلى نقل الأخبار والصور بصورة كاملة وفورية"⁴، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد أخذت مختلف الاستخدامات في التوسع والانتشار والهيمنة السلسلة على جزء من السلوك الاجتماعي الذي أزيحت بعض عناصره مفسحة المجال لبروز ظواهر أخرى بدأ بعضها يتضح أكثر، من ذلك استخدامه داخل الأسرة وما يثيره من انتباه أفرادها الذي يتباين بحسب الفرد: الشاب المراهق، الفتاة المراهقة، المرأة، الرجل... إلخ، كما يتباين بين استخدام الليل والنهار، والمهاتفة سرا وجهاراً مما يفسح المجال نحو تشكل تمثلات اجتماعية بين الآباء والأبناء. كما أن استعمال النقال داخل المؤسسات التعليمية كان أحد الظواهر البادية في التنامي، إذ الرغبة في مداعبة مفاتيحه تساور التلاميذ وطلبة الجامعة حتى أثناء إلقاء الدروس والمحاضرات، يتم إخفاؤه بأشكال تبقى الاتصال معه لمسياً أكثر منه شيئاً آخر مع استعمال (الكيتمان) بطرق ذكية، وقد واجه المعلمون صعوبات جمة في التعامل مع هذا السلوك الذي انجرت عنه مشكلات كثيرة. أما في مجال العمل أصبح الهاتف النقال وسيلة الاتصال والتواصل في شبكة العلاقات المهنية، سواء لإعطاء الأوامر أو تنفيذها أو الحصول على المعلومة من أجل أداء أحسن لاسيما عندما يتم ربطه بشبكة الأنترنت المرتبطة بدورها بقواعد بيانات أو معلومات غنية مما فتح أمام الموارد البشرية فرصاً وآفاقاً تولدت عنها سلوكيات مهنية وقضايا جديدة في عالم الشغل.

ويمكن القول أن الفضاءات العامة هي بشكل أوضح الأمكنة التي تطفو فيها استخدامات الهاتف النقال وتتمظهر عند فئات كبيرة من أفراد المجتمع، إذ يبدو أن السلوك الاجتماعي المرتبط بهذه الفضاءات في الماضي يعرف إزاحة ولم تبق العلاقة بين الأفراد إنسان وإنسان، بل أصبحت إنسان-آلة، وتحول التفاعل والتواصل البشري إلى تفاعل مع الآلة، فحتى الانفعالات والعواطف أصبحت تمر عبر هذه الوسيلة. إن تواجد الأفراد في محطة للمسافرين سواء كانوا فرادى أو جماعات (أناس عاديين، طلبة، موظفين، أسر، فرق) لا يخلو من طرف آخر هو الهاتف النقال فالكل يتحدث، يلعب، يقرأ، ويرسل إلخ، فالناس يتواجدون مع بعضهم البعض ولكنهم ليسوا مع بعضهم البعض بل مع هواتفهم.

إن هذه الصور المختلفة للحياة الاجتماعية التي أفرزتها استخدامات الهاتف النقال هي التي أثارَت إشكالية هذا المقال والتساؤل هن هذه الظاهرة: ما هي استخدامات الهاتف الخلوي؟ وماذا ترتب عن هذه الاستخدامات؟ هل هو مجرد تقنية أم أنه أصبح بحق ظاهرة اجتماعية؟

ثانيا: التعريف المحوري لموضوع المقالة:

الهاتف في اللغة من هَتَفَ، أي صاح مادًا صوته، ويقال "هتفت الحمامة" ويقال "هاتف" للصوت الذي يسمع ولا يرى صاحبه، ولذا جاء ترجمة كلمة Téléphone في الإنجليزية. والنقل من نقل الشيء، أي حوله من موضع إلى آخر، ونقله بالتشديد على القاف، يعني بالغ في نقله. والجوال من حال، ويقال "جال في الأرض" أي طاف، غير مستقر فيها.⁵

والهاتف المحمول المعروف أيضا باسم الهاتف النقال (أو ببساطة النقال والحمول) وفي أمريكا الشمالية يسمى الهاتف الخليوي وفي سويسرا "ناتل Natel" و "ج س م GSM" وبالعامية في بلجيكا بـ G، يسمح بالتواصل دون أن يكون متصلا عن طريق الكابل بالمركز حيث تنتقل الأصوات عن طريق الموجات الكهرومغناطيسية في شبكة محددة وهو يمكننا من التواصل في أي مكان يتمكن هوائي تقوية البث (le Relais) من التقاط ما يرسله الجهاز المرسل.⁶

ليس هناك إذن مسمى واحد لهذا الجهاز، ويظهر ذلك حتى في الدول العربية، فمن بلد لآخر نجد له اسما ففي السعودية يسمى الجوال، وفي الكويت يسمى النقال، أما في مصر فيسمى المحمول، وتختلف استخداماته وطرق الانتفاع منه من مجتمع لآخر وعرفه بعض الباحثين بقولهم أنه "جهاز إرسال يستخدم موجات الراديو التي تسمح بوصول الإشارة إلى المتلقي في منطقة جغرافية تسمى الخلية، وحين يتم استقبال الإشارة يتم تحويلها مباشرة إلى شبكة التليفونات المركزية"⁷ أما تسمية الهاتف النقال في الجزائر فلا تكاد تُستخدم أيا من الألفاظ العربية السالفة الذكر ويغلب بشكل كبير استخدام الكلمة الفرنسية Portable (بورتابل) ولا يختلف ذلك عند الصغير والكبير أو المتعلمين وغير المتعلمين .

وفي الاصطلاح أيضا يعرف الهاتف النقال بأنه: أداة اتصال لاسلكي تعتمد على شبكة أبراج بث موزعة ضمن مساحة معينة، يتم تطويرها لتتيح للمستخدم إمكانية التواصل اللاسلكي الشخصي كما هو الحال في الاتصال الهاتفي أو الاتصال بمصادر المعلومات عبر شبكة الأنترنت، وهي أداة تقنية أشبه بحاسب آلي كفي، ينظم المواعيد، ويستقبل ويرسل البريد المكتوب والصوتي، ويتصفح الأنترنت، كما أصبح الآن مزودا بأداة تصوير وتخزين، ومعالجة للصور.⁸

ثالثا: الهاتف النقال في الجزائر:

عرف الهاتف النقال في الجزائر مسارا متميزا اتسم في البداية بانتشار قليل وتغطية ضعيفة واستخدامات محدودة لكنه ما لبث أن أصبح نشطا فالفرق شاسع بين سنتي 2000 و 2014.

لقد أشارت نتائج مؤشر مجموعة المرشدين العرب في تقريرها السنوي لقياس مستوى التنافس في أسواق الهاتف النقال العربية شهر جوان 2012 أن الجزائر تعد من بين الأسواق التي حافظت على استقرار مؤشر التنافسية⁹. وعرف سوق هاتف النقال خلال سنة 2014 نموا بنسبة 9.26% حيث تجاوز عدد المشتركين 39.630 مليون مشترك سنة 2013 إلى 43.298 مليون مشترك، ويعزى هذا النمو أساسا إلى استخدام تقنية G3. وعرفت الكثافة الهاتفية للنقال (G3 و GSM) تطورا صافيا من 7.22% مرورا بـ 102.40% إلى 109.62%¹⁰، وقد صنفت الجمعية الدولية لشبكات الهاتف المحمول (GSMA) في تقرير صدر لها حديثا الجزائر في المرتبة 14 في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بنسبة 48% في مجال الاشتراك في الهاتف النقال، وهي تشكل مع مصر والسعودية والعراق والمغرب أكبر خمسة أسواق من حيث الحجم بمعدل انتشار يفوق 96.26% حيث بلغت المرتبة 106 عالميا في مجال الاشتراك في الهاتف النقال¹¹، وتشير كل هذه المعطيات أن الهاتف النقال اكتسح المجتمع الجزائري، فعلى الرغم مما يؤخذ على دقة هذه المعلومات ومدى صدقها وتمثيلها إلا أن الواقع يشهد أن أفراد المجتمع قد ربطوا علاقات خاصة مع هذه الوسيلة فهناك من يملك أكثر من هاتف وأكثر من رقم دون الحديث عن تنوع الاستخدامات وتعدد واختلافها حسب تنوع واختلاف الشرائح الاجتماعية.

رابعاً: الهاتف النقال كتقنية:

لعبت التقنية بشكل عام دوراً أساسياً في انتقال المجتمعات البشرية إلى مرحلة الحداثة ومرحلة ما بعد الحداثة، وأصبح من البديهيات أن تطور أي مجتمع مرهون بقدرته على إعادة تنظيم نفسه وفق مقتضيات الواقع الراهن المرتبطة بشكل أساسي بالتكنولوجيا ووسائلها الجديدة.

ويعتقد (دودو سي Doudou Sy) أن لهذه الوسائل خصوصيات أهمها:

1. التعبئة لإعادة تنظيم المجتمعات الصناعية في العمق.
2. أن رقمنة الإشارة يعد المفتاح التقني لارتقاء التكنولوجيا الإعلامية.
3. أن التكنولوجيا الرقمية تدخل كل القطاعات الاقتصادية.
4. أن التكنولوجيا الرقمية تساهم في تحول أنماط الإنتاج والاستهلاك والاتصال وتداول المعلومات واكتساب المعارف.¹²

ويحتل الهاتف النقال مكاناً خاصاً بين تكنولوجيات الإعلام والاتصال بنسب أجهزته وانتشارها الواسع ففي فرنسا مثلاً قفزت النسبة من 1.52% من المجتمع الفرنسي سنة 1994 إلى 54.81% سنة 2001، وفي ألمانيا من 3.03% سنة 1994 إلى 63.48% سنة 2001، وفي المملكة السعودية من 6.01% سنة 1994 إلى 71.80% سنة 2001.¹³ ويشير أنتوني غدنز إلى أن مطلع التسعينيات من القرن الماضي عرف نقلة نوعية ومثيرة متمثلة في انتشار الهاتف النقال حيث قدر عدد مستخدميه بنحو 11 مليون ليرتفع بعد 10 سنوات إلى 400 مليون، ويرى أن الهاتف النقال لم يكن جديداً في حد ذاته غير أن الجيل الأول منه الذي كان يستخدم التقنية النظرية كان رائداً في الجمع بين القدرة على الاتصال والتنقل من مكان لآخر وأدى استخدام التقنية الرقمية إلى إنتاج أجهزة أصغر يتنقل فيها الصوت إلى مساحات شاسعة من العالم وبكلفة أقل. كما أن الهاتف النقال كتقنية لم يتوقف عند حدود معينة ذلك أن الجيل الثالث منه جمع بين الصوت والصورة المتحركة والنصوص واستحداث الدمج المباشر مع الأنترنت وخدمات التلفزيون على شاشة الجهاز الواحد.¹⁴

إن الهاتف النقال كأداة تكنولوجية يُمكن من التواصل بغض النظر عن المكان الذي نتواجد فيه، ويمكن قياس أدائه وفعاليته من قدرته على ربط شخصين (وربما أكثر بالنظر إلى التقدم التكنولوجي) وفقاً لاستخدام معين، ويمكننا فهم هذه الأداة من خلال مستخدميها، ولا يقتصر ذلك على الخصائص التقنية والمادية الملزمة التي تمكن من ملاحظة مختلف أنماط العلاقة التي تقوم بإنشائها. ولكن إذا أصبحت هذه الأداة هي ما نفعله نحن بما فإنه قبل امتلاكها والتلاعب بها واستخدامها سيتم استثمارها مسبقاً.¹⁵

يمكن القول بلا شك أن الهاتف النقال يمثل إحدى أهم صور التقنية في العصر الحديث التي تبدو فيها قدرة الإنسان على تحويل معارفه ونظرياته العلمية إلى موضوعات تطبيقية مادية ترتبط في كثير من جوانبها بحاجات المجتمعات والسعي إلى حلول مشاكلها. لقد ظهرت خطابات ومقالات صحفية تشيد بهذه التقنية التي تغزو حياة الإنسان اليومية وتروج لعجائبها فصورة البدوي المتصل بالهاتف والمرأة الخارقة (Superwoman) سيدة الأعمال الحقيقية هي صورة اجتماعية يرادها، فالتطور لم يكن شيئاً لا مفر منه فقط بل هو مرغوب فيه للغاية بل إنه تطور مستمر. ومن أجل فهم أفضل لهذه الصور التي تسير في الكيان الاجتماعي يجب التوجه نحو سوسيولوجيا الابتكار وسوسيولوجيا الاستخدامات لمحاولة فهم هذا الخيال الاجتماعي الذي يصاحب كل ابتكار تقني وطرح السؤال: يمثل هذه الصيغ: ما الذي يجعل إبداعاً تقنياً يرى

النور؟ كيف يمكن أن نفسر أن تقنية ما دون أخرى سيتم قبولها من طرف المجتمع؟ يتعلق الأمر بفهم كيف وبأي طريقة سيتملك الفرد بمفرده هذا الموضوع التقني؟ وما الذي سيفعله به فعلا؟ إن فرضية وجود تفاوت بين الاستخدامات المحددة التي تم تصورهما من طرف المصمم والاستخدامات الحقيقية ستظهر، مما يحظر في الواقع أي إسقاطات مستقبلية، مع أن توقعات الاقتصاديين لنمو هذه السوق الجديدة للاتصالات السلكية واللاسلكية لم تتوقف عن كشف هشاشة السيناريوهات. فحتى عام 1998 في أوروبا فإن خبراء Idate * أساءوا تقدير انفجار هذا النمو، وعندما نعمل قطعة إستمولوجية مع نظريات انتشار المنتجات الاستهلاكية فإن سوسيولوجيا الاستخدامات على خلاف ذلك ستجرنا إلى إعادة التفكير في مسألة الاستخدامات: ملاحظة ماذا يفعل الناس بهذه الوساطة التقنية؟ كيف يديرونها؟ كيف يحصلون بها على أشياء من غير إذن ويخترعون استخدامات جديدة؟¹⁶

ومنه فبسبب الوظيفة الاجتماعية (الإعلامية والثقافية والاتصالية) كان هناك ميل خاص لتكنولوجيا الإعلام والاتصال لكي تكون مطية نحو الأحلام أو الأوهام، وهو ما يجعل من هذه الوسائل التقنية أدوات ثورية. ومن أجل التفكير في الاندماج الاجتماعي لهذه الوسائل التقنية المعاصرة فإن الإسهاب في تمثاتها السوسيوثقافية، والسعي إلى تحليلها ومحاولة فهم وظيفتها وقضاياها يبدو أساسيا.¹⁷

خامسا: سوسيولوجيا الاستخدام:

في حين كانت دراسة وسائل الإعلام لفترة طويلة تخصصا أنجلوساكسونيا في بحوث الاتصال، فإن تلك المتعلقة باستخدامات تكنولوجيايات الإعلام والاتصال TIC مثلت تيارا خصبا للباحثين الفراكوفونيين (الكيبك، فرنسا، بلجيكا) في المقام الأول¹⁸، وإذا كانت دراسات البث النصي (Vidéotex) قد أسست لدراسة رائدة في استخدام الاتصالات السلكية واللاسلكية، فالיום ينبغي أن يوجه التفكير السوسيولوجي نحو الهاتف، الذي يمثل أداة أساسية للمؤانسة الأسرية ومؤانسة الصداقة، ویتھیا لاستخدامات أكثر تنوعا مما نعتقد، فالיום كل مواطن وكل مؤسسة متصل بشبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية، والوصول إلى الهاتف لم يبق كما كان قبل 20 سنة خلت عاملا للتمييز الاجتماعي.

لقد حدد تيودور فايل (Théodore Vail) بداية القرن الماضي في الولايات المتحدة هدفا هو "بناء نظام عالمي قادر على ضمان الاتصال مع أي مراسل محتمل وفي أي وقت" ولكي يكون هذا المثل الأعلى للعالمية حقيقيا تماما يتوجب ضمان الاتصال مع الأشخاص المتنقلين. ففي البلدان ذات الكثافة السكانية المنخفضة نسبيا (أمريكا الشمالية وبلدان الشمال الأوروبي) كان البث يتم عن طريق إذاعة الهاتف Radiotéléphone لأول مرة، ولكن هذا الجهاز المخصص للشاحنات والقوارب والسيارات سيخرج من هذه المركبات ليرافق مالكيها، إن الهاتف المحمول مثل الترانزستور قبل 40 عاما وأكثر من ذلك مثل جهاز الراديو المتنقل le Baladeur، قد أصبح طرفا صناعيا اتصاليا جديدا للفرد¹⁹، وفي سنة 1971 انطلقت هيئة التلفزيون والتلغراف الأمريكية (AT & T) في إعداد خطة لتشغيل نظام التلفون الخلوي المتحرك (Cellular Mobile Téléphone Service) و وصل عدد المستخدمين في الولايات المتحدة الأمريكية 175 ألف مشترك سنة 1982 ثم أصبحت هذه الخدمة موجهة للاتصال المباشر بقواعد البيانات (Online Database)، ففكرة الهاتف المحمول في الأصل عبارة عن أجهزة إرسال تستخدم موجات الراديو وتسمح بوصول الإشارة إلى المتلقي في منطقة جغرافية تسمى الخلية، وحين يتم استقبال الإشارة يتم تحويلها مباشرة إلى شبكة التلفونات المركزية مما يعني إمكانية استخدام الهاتف المحمول المطور في الاتصال الهاتفي مع أي مكان في العالم²⁰.

لقد كانت الرغبة في امتلاك الهاتف المحمول تجسد بعض الاختلاف بين الثقافتين الشرقية والغربية كما تعكس أنماطا سلوكية اجتماعية تؤكد فروقا في الأسباب والأهداف. إن اقتناء الهاتف المحمول في المجتمع الغربي يرتبط غالبا بتسهيل أمور الحياة والحصول على العديد من المنافع، وهذا ما يعبر عن فلسفة المجتمع المبنية على توجهات مادية ونفعية حيث مستوى المعيشة يتطلب وضع حسابات دقيقة للنفقات المنزلية والفردية، كما أن وظيفة الفرد ومركزه الاجتماعي له علاقة بحياته الاجتماعية والاقتصادية وعموما بسلوكه إذ يتطلب الأمر اقتناء أجيال معينة من الهاتف كما هو الشأن عموما في الدول المتقدمة، يتمكن بواسطتها من التسوق عبر شبكة الأنترنت في مؤسسات أعدت خصيصا لذلك، فيقتني ويدفع الثمن دون أن يحرك ساكنا ومع ضغوط نمط الحياة الغربية المتسارع أصبح استخدام الهاتف النقال حتمية اجتماعية، كما أصبح الهاتف النقال يستخدم في إدارة الأعمال وتسيير المؤسسات خصوصا مع قدرته على تخزين رصيد هائل من المعارف والمعلومات كالكتب الإلكترونية والأبحاث والمقالات العلمية والبرامج البيداغوجية والمخططات وغير ذلك ناهيك عن استخدامه في المؤانسات وتحقيق بعض الإشباعات النفسية والاجتماعية الأخرى. والملاحظ أن الاستخدام أصبح سلوكا اجتماعيا يتم بناؤه في كل مرحلة زمنية، لقد وصل علماء الاجتماع إلى أن الاستخدامات الحديثة تختلف عن الاستخدامات الأولى إذ تشير كورين مارتان (Corinne Martin) إلى أن الاستخدامات الأولى للهاتف النقال تعلق أساسا بعالم المال والأعمال (البورصة والبنوك وغيرها) ثم جاء اكتشاف المحادثة وأسرارها وبدأت الثروة الأولى لأسباب خاصة في بدايات القرن 20. ثم أصبح الهاتف النقال جهازا للمؤانسة الاجتماعية لأنه يمكن من المحافظة على التحوار النفسي مع الأقارب من العائلة والأصدقاء معا وذلك بفضل الشعور بالخصوصية الذي تسببه المحادثات المرسلة أذنا لأذن وأكثر من ذلك فإن التحادث في الهاتف هو بمثابة تشارك في السر²¹.

تؤكد الدراسات الأساسية للأعمال السوسيولوجية حول استخدامات الوسائل التكنولوجية (نماذج: الانتشار، الترجمة، التشكل السوسيوثقني، مقارنة الامتلاك) على الدور الحيوي للتخيلات والتمثيلات السوسيوثقنية للاندماج الاجتماعي لهذه الأشياء التقنية، وانطلاقا من هذه الدراسات يمكن القول بثلاثة أدوار أساسية تلعبها هذه الأدوات أو الوسائل التكنولوجية:

1. قبل كل شيء يمكن اعتبارها مصدرا للابتكار ويمكن هنا التعرض لموقف باتريس فليشي (Patrice Flichy) المتعلق ببناء الإطار السوسيو-ثقني القائل: "في أصول الإطار السوسيوثقني نعر على سلسلة من التخيلات التقنية التي تبدو دراستها ضرورية ليس باعتبارها المصفوفة الأولى أو المبدئية لتقنية جديدة ولكن باعتبارها واحدة من الموارد التي يتم تعبئتها من طرف الفاعلين لبناء إطار مرجعي". إن التصورات يمكن اعتبارها أمرا يسمح بإعطاء معنى لمسار الابتكار والأعمال التقنية.

2. أن الصورة التي تشكل حول تقنية ما أثناء انتشارها تعتبر أساسية، إنها تصبح مشاركة في إستراتيجية المحاجة على شرعيتها والتعبئة حولها. ودفاعا عن مقارنة سوسيو-سياسية للاستخدامات يؤكد تيري فيدال (Thiery Vedal) استعداد الموردين للتأثير بواسطة خطابهم على التصورات السوسيوثقنية للمستخدمين قائلا أنه "في نفس الوقت الذي تنتج فيه وسائل جديدة، تبتكر المنشآت الصناعية الكبرى إستراتيجيات رمزية داعمة لتوجيه وإضفاء الشرعية وتبرير أنماط الاستخدام الأقدر على دعم أهدافهم التجارية والمالية"، وهكذا يبدو الخيال التقني أو الفني تحديا للموردين أثناء التوزيع والنشر.

3. أن المتخيلين يمكن اعتبارهم كإطار مرجعي لتكون الاستخدامات الأولى حيث تؤكد جوزيان جوي (J.Jouet) أن تمثيلات تكنولوجيا الإعلام والاتصال في الخطابات الإعلامية "تلعب دور المحرك أو المطلق لامتلاك هذه الوسائل

التكنولوجية، ومن جهة أخرى تطوير أشكال الاستخدام"، وفي الواقع فإن الصور والتصورات التي يقوم بها المستخدم عن شيء تقني (أي ما يتخيله) تعتبر كلها أساسية خلال امتلاكه لهذه الوسيلة كما يعتقد مالان و توسان (Mallein et Toussant)²². وحدد سارج برولكس (Serge Proulx) هذا الامتلاك أو امتلاك أي وسيلة بشروط منها:

- التمكن من التقنية ومعرفة المنتج الصناعي.
- الاندماج الكبير للوسيلة التقنية في الممارسة اليومية للمستخدم.
- الاستخدام المتكرر الذي يفتح المجال نحو إمكانيات الإبداع (أفعال مولدة لما هو جديد في الممارسة الاجتماعية).
- الامتلاك الاجتماعي الجماعي للمستخدمين.²³

إن من أهم الملاحظات التي يمكن تسجيلها عند الاطلاع على أعمال السوسيولوجيين حول مسألة الاستخدام أو الاستخدامات أنهم لاحظوا وجود فروق أو تباعد بين الاستخدامات التي حددها مصمموا الوسائل التكنولوجية التي تم تخيلها من قبل والاستخدامات الفعلية، حيث أدى ذلك إلى تفاعل الخيال العلمي للمصممين والمطورين مع مختلف الاستخدامات التي جاء بها المستخدمون حيث كان لهذا الأمر نتائج كبيرة. وقد أشار إلى ذلك فرنسيس جوريجيري (F. Jauréguiberry) و سارج برولكس في كتابهما استخدامات ورهانات تكنولوجيا الاتصال، أن الأبحاث الأولى المنجزة في هذا الحقل السوسيولوجي الجديد تشير إلى التباعدات بين الاستخدامات الملاحظة والاستخدامات المحددة من طرف مطوري أو مرقى "آلات الاتصال الجديدة" فالدراسات المتعددة مثلاً حول الفيديو توكس قد دلت بصورة تمثيلية كيف أن محطة اتصالات مصممة في الأصل فقط لمعالجة بنوك المعطيات تستعمل لأغراض التسلية والمراسلات.²⁴

سادسا: سوسيولوجيا الهاتف النقال كظاهرة اجتماعية:

لم يحظ الهاتف النقال باهتمام السوسيولوجيا بنفس الدرجة التي حظيت بها الصحافة والتلفزيون، ولكن مع ذلك كان الاهتمام متنوعا، وكانت التيارات المختلفة في علم الاجتماع قد درست تباعا هذه الوسيلة دون القيام بتحقيقات منهجية، مما يجعل الحاجة إلى سوسيولوجيا الهاتف المحمول قائمة دائما²⁵، فأغلبية الدراسات التي أجريت حتى العشرية الأخيرة من القرن الماضي في فرنسا وعلى نطاق واسع هي دراسات استقصائية حول الاستهلاك وقليلة هي دراسات الاستخدام التي تم نشرها، لهذا يمكن القول أن الهاتف النقال وسيلة منسية في العلوم الاجتماعية²⁶.

إن من أهم النصوص التأسيسية التي يستشهد بها في دراسة الهاتف المحمول تلك التي قام بها دونالد بايل (Donald Bail) "نحو سوسيولوجيا للهواتف والمهاتفين" سنة 1968 وتلك أيضا لسيدني أرونسون (Sydney Aronson) بعنوان "سوسيولوجيا الهاتف" سنة 1971، وكذلك إتيال دوصولا بول (Ithiel de Sola Pool) "التأثير الاجتماعي للهاتف"، هذه النصوص الثلاثة تتقاسم نفس الإشكالية التي لها توازن كبير في علم الاجتماع الاتصال، وهي تلك المتعلقة بالحمية التكنولوجية التي كان ماكلوهان (Mac Luhan) وريجيس دوبري (Regis Debray) من أهم رموزها. هذا التقليد السوسيولوجي يركز أساسا على أمثلة تاريخية، ومما يجدر قوله أن كتاب دوصولا بول قد نشر بمناسبة مرور مائة عام على اختراع غراهام بيل. إن السؤال الذي طرحه جميع هؤلاء في نهاية المطاف هو: ماذا غير الهاتف في مجتمعاتنا بعد قرن من وجوده؟

يتميز Aronson عادة بين ثلاثة أنواع من التأثيرات على النشاط الاقتصادي وعلى جمع المعلومات والمؤانسة الخاصة، إن الاتصال الهاتفي رفع من سرعة وكثافة العمل، وقلص الزمن، وعقد الصفقات، إنه يمكن من ضمان التنظيم والتشغيل الفعال للشركات الكبيرة (إن نظام فورد مثلا لا يمكنه أن يشغل دون الاتصال السلبي واللاسلكي)، كما أن الهاتف

النقل يشغل مكانا مركزيا في نشاط الأسواق المالية والأسهم ونفس المهمة أيضا بالنسبة "للخدمات غير المشروعة" ومثال ذلك خدمة "callgirl" التي درسها بال (Ball) مثلما درسها ماكلوهان. لقد اعتمدت الصحافة المكتوبة وكذا السمعية البصرية الهاتف كأفضل وسائل العمل، غير أن أنماط تنظيم المؤسسات هي التي تم تغييرها بقدوم الهاتف. وبالنسبة لماكلوهان كما هو الأمر بالنسبة لبال فإن الهاتف قد عمل على تآكل الهياكل الهرشية والبيروقراطية وأدى إلى لامركزية الاتصالات فهو يمثل الحالة الجديدة التي يجب على المؤسسة أن تتواءم معها. وفيما يتعلق بالعلاقة بين الهاتف والتنظيم أظهر باتريس فليشي (P. Flichy) مع بول بود (P. Beaud) من خلال دراسة تخصصية لإحدى الإدارات كيف أن الهاتف كان غير متكافئ للغاية مشكلا واسطة هررشية في استخدامه أقل منه في غياب استخدامه، وفي الحياة الخاصة يظهر الهاتف في كثير من الأحيان كعامل رئيسي أو مفتاحي في الأشكال العمرانية الجديدة. وفي بداية القرن (الماضي) اعتبر الكثير من الأمريكيين الهاتف كأحد العوامل الرئيسية لتحقيق التنمية في الضواحي، إذ أنه يتيح لسكان هذه الأحياء الحفاظ على الروابط الاجتماعية مع باقي المدينة. هذا الموضوع سيتم تناوله فيما بعد من قبل أحد علماء الاجتماع الفرنسيين وهو غابريال دوبوي (gabriel Dubuy)، بينما يظهر بحث Alan Moyer دورا أكثر محدودية للهاتف. لقد تساءلت السوسيولوجيتان الفرنسيتان فرانسواز بورنو (Françoise Bornot) و آن كورداس (Anne Cordess) حول العلاقة بين تشتت المجتمعات التقليدية أو تفككها وتطور الهاتف، وخلصتا إلى أن الهاتف بإمكانه خلق علاقات لم تكن موجودة ومن ناحية أخرى يمكن للهاتف أن يمارس دوره في الاتصال بشكل كامل ويصبح بعدا رئيسيا في تماسك الجماعات (جماعة الصداقة، جماعة العائلة) عندما يهددها التفكك²⁷، ويبدو جليا أن هناك نظرة سوسيولوجية للهاتف المحمول تحاول فهم دوره كعنصر جديد في الحياة الاجتماعية ونشاطها ومؤسساتها ويمكن تمييز الفرق في ذلك بين مجتمعات منتجة لهذه الوسيلة ومستهلكة لها وبين مجتمعات لم تنتجها ولم تشارك في تحديد استخدامها، يمكن ملاحظة ذلك في علاقتها بظواهر الاستقلالية والحرية والنشاط الاقتصادي، ومنظومة القيم الأخلاقية وغيرها. وفي هذا الصدد يعتقد شمس الدين شيتور أن الهاتف النقل طمس الحدود التي كانت في وقت سابق غير قابلة للاختراق مثل تلك القائمة بين الحياة المهنية والحياة الخاصة وخصوصا في فترة العطل، فقد أصبح وسيلة تثير ظواهر الاستقلالية النفسية الخاصة، ويرى أن البعض يعيب عليه حذفه "للوقت المستقطع" الذي أصبح مكرسا للمحادثات والرسائل القصيرة أو الألعاب، والذي كان يسمح بالنظر والتفكير وغير ذلك، كما يعيب عليه البعض الآخر خلقه الشعور بالاستعجال ونفاذ الصبر المصطنع وطمسه للتسلسل الهرمي بين ما هو مهم وما هو غير ذلك، ومن الجانب الاقتصادي يرى أن دراسة أعدتها المدرسة اللندنية للأعمال سنة 2005 قد أكدت أنه كلما زاد معدل انتشار الهواتف المحمولة عن 10٪ فإن الناتج المحلي (PIB) ينمو بمعدل 0.5٪ وهو ما يعبر عن ليبرالية جديدة، ويمكن التساؤل هنا عن القيمة المضافة للنقل بجانب أولويات أخرى خصوصا بالنسبة للمواطنين من البلدان النامية التي تواجه عالم تكنولوجيايات الإعلام والاتصال بشكل خاطئ لأنها تدخلها بطرق متخفية، ولا يأخذون منها إلا ما يحقق لهم اللذة والمتعة وهذا يعد احتيالا، وتتولد عن ذلك ظواهر سلبية كثيرة، فالإدمان على سبيل المثال له دلالة خاصة في الجزائر أين تم إحصاء أكثر من 20 مليون هاتف نقال لـ 35 مليون مواطن، فهل هنا يعني أن النقل يخلق الثروة؟ لا يعتقد ذلك. فالجزائر تحول سنويا ما يعادل 2 مليار دولار ناهيك عن وجود معركة شرسة بين متعاملي الهاتف وإن فائدة هذه الوسيلة التكنولوجية أمر لا يناقش، لكن خلق عادات استهلاكية ليست نتيجة لعمل أو مجهود فإنه يمكن اعتبار هاتف نقالا لصيقا بالأذن للحديث في فراغ ليس فقط بدون فائدة ومكلف بل يمكن أن يجلب أمراضا مكلفة للمجتمع، فهل هذا هو التطور؟²⁸

لقد كان للهاتف النقال تأثير كبير على مختلف الشرائح الاجتماعية، وتعتقد كورين مارتان (C. Martin) بأنه لا يوجد من تكنولوجيات الإعلام والاتصال ما يماثله ولهذا تتساءل كيف يمكن تفسير هذا الافتتان بالهاتف؟ وترى أن فرنسيس جوريجيري يقدم ثلاث عناصر يعتقد أن التقاءها يمكن أن يفسر نجاح الهواتف المحمولة:

1. العرض التكنولوجي بأسعار معقولة.
 2. الرغبة الدائمة في التواجد في كل مكان.
 3. التطور الحالي للمجتمعات الذي قوّى من الرغبة في التواجد هنا وهناك "ici et ailleurs" في نفس الوقت.²⁹
- إن العروض التي قدمتها شركات الهاتف وشدة التنافس بينها قد كان أحد أهم العوامل التي مكنت من وصوله إلى أغلب أفراد المجتمع ممن رغبوا في امتلاكه ومن قدم لهم في إطار علاقة عاطفية أو مهنية أو صداقة وغير ذلك، وأصبح كل فرد يعيش تجربته الاتصالية الخاصة.
- تجربة المتصل: إن الحديث عن تجربة "المتصل" بالهاتف ترجع إلى ذاتية خاصة، إذ أن كل واحد يعيش بشكل فردي حالة أن يكون هنا وهناك "être ici et ailleurs à la fois". بمشاعره وحالاته الروحية وتأثيراته واستعداداته السيكلولوجية، والأمر يتعلق هنا في كل حالة بتجربة فردية ومفردة وهو ما وصل إليه ف. جوريجيري مؤكداً أنه لم يأخذ من إجابات الأشخاص الذين أجرى عليهم البحث إلا ما قد عاشه هذا الفرد ويُحيل إلى شيء مشترك مع ما عاشه الآخرون، وما تمكن التحليل السوسولوجي من تحقيقه هو وضع التجارب الفردية "في الواجهة"، حيث أن كل فرد من مجموعات البحث تمكن من الاعتراف جزئياً بتجربته بناءً على شهادات الآخرين، وهذا الاعتراف وتجميعه هو الذي كوّن المادة الأولى لبحثه السوسولوجي. وما ظهر مشتركاً بين الأفراد في الواقع هو عدم تجانس منطق تكوين هذه التجربة، وتعبير آخر لم يتمكن أي منهم من اختصارها في مجرد سلوك أو تصرف، إذ التساؤل عن كيفية تنظيم الوقت أظهر إجابات ذات خصوصيات فردية³⁰، إن مداخلة السوسولوجيا تركز على تبادل للشهادات (المبحوثين) والذي يمكن من بعد من الصعود نحو منطق متعدد الأشكال للفعل القادر على الوصول إلى ما هو اجتماعي في التجربة الفردية لكل واحد، هذا المنطق هو:
- أ. منطق الهوية والاندماج وهو أن تكون متصلاً (être branché).
 - ب. المنطق الشمولي الإستراتيجي وهو أن تكون فعالاً (être efficace).
 - ج. منطق النقد واتخاذ مسافة (هو أن تكون مستقلاً أي أخذ مسافة وتحكم ذاتي في نظام من الفردانية والذاتية).³¹
- الهاتف النقال والمراهق:

لقد اهتم الباحثون بمختلف القضايا المرتبطة بالهاتف النقال خصوصاً ما تعلق منها بالشباب والمراهقين، وبالروابط الاجتماعية (خصوصاً الأسرية) وكذلك بالسلوك العام في الفضاءات العامة. فقد أبانت عملية امتلاك الهاتف النقال من طرف المراهقين منذ أواخر سنة 1990 أنها بمثابة صاعقة حقيقية، فهو قد صمم أصلاً كأداة للتواصل الصوتي خاصة بالمهنيين، ولكنه أصبح موضة تستخدم لإرسال الرسائل النصية والاستماع إلى الموسيقى وتبادل الصور، ومنذ مدة إلى مشاهدة التلفزيون، وكان المراهقون هم في الغالب أول من يتمكن من ميزات الجديدة³²، وقد أصبحت بالنسبة إليهم هذه التكنولوجيا وسيلة للتحرر إذ أنه ولأسباب معروفة مسبقاً تتعلق بتطور الشخصية يسعى الشباب بطبيعتهم الاستقلالية بشكل أكبر من الأشخاص الآخرين الأكثر نضجاً، في عالم تنمو فيه علامات ومحفزات الخطاب التحرري بسرعة إلى هذا التحرر³³، حيث يستخدم النقال كوسيلة وساطة أولاً وقبل كل شيء للمؤانسات الودية كما أنه أداة للتعبير عن الهوية والاستقلالية، إنه وسيلة خاصة و شخصية تحولت إلى جسم مدمج مع جسم الإنسان بشكل حقيقي، ففي إحصائيات

2008 بلغت نسبة الشباب الحاملين للهاتف في فرنسا حوالي 99٪ لمن هم بين 18-24 سنة، و76٪ لمن هم بين 12-17 سنة³⁴.

- الهاتف النقال كآلة تصوير: لم تتوقف أجهزة النقال عن التطور فبعد كل فترة من الاستخدامات يتم تجهيزه بأداة أو وسيلة جديدة تظهر الحاجة إليها لتتطور شيئا فشيئا حتى تلي رغبات شرائح واسعة. ففي نهاية سنة 2000 ظهرت أجهزة الهاتف المجهزة بآلة تصوير، هذا الالتقاء بين الهاتف النقال كأداة للاتصال والنشر وآلة التصوير كأداة تسجيل هو ما يدفع لاكتشاف ولفهم الاستخدامات الاجتماعية الجديدة لالتقاط الصور على الموبايل عند الشباب، وحسب بعض الدراسات فقد وصلت نسبة الفرنسيين الذين يمارسون التقاط الصور كهواية إلى 81٪ وقد امتدت إلى جميع الفئات العمرية خصوصا الشباب (نسبة 93٪ لمن هم أقل من 25 سنة في 2002 مقابل 71٪ في 1989)³⁵ أ. الهاتف النقال في الفضاءات العامة:

إن الرد على مكالمات ونحن نتناول الغذاء مع صديق في المطعم، والدخول في حوار على شرفة مقهى مع شخص لا أحد يراه وكأنك محتل عقليا يتكلم مع نفسه، وتجاهل قربك من المحيطين بك في طابور للتحدث مع طرف آخر لا أحد يعرفه، جميع هذه الحالات على مستعملي الهاتف النقال عيشها وتفسيرها والتحكم فيها وفقا لحدود الأدب واللباقة. إن هذه تجربة فريدة فلا توجد قواعد بشأن هذا الموضوع توجه السلوك، في الوقت الراهن كل واحد يتصرف كما يستطيع ويرتجل إجابات للوضع، ويسمح الترسيب الاجتماعي للردود بالوصول إلى ثوابت ذات دلالة فالميل عند المستخدمين للمهاتفة تلقائيا في أي مكان كانوا يولد لديهم انطبعا إيجابيا وممتعا حتى أنهم لينسوا من يحيط بهم وهذه المرحلة "الأنانية" في معظم الحالات مؤقتة حيث يظهر الوعي ويعدل السلوك اعتبارا للوجود الواضح للآخر ولكن هذا التعديل بدوره له تأثير ضعيف أمام التصرفات المتباهية للمستخدمين الجدد الذي يزداد عددهم باستمرار³⁶، وفي الكثير من الحالات يثير الاستخدام المصاحب بالانفعال والصوت المرتفع وبعض الحركات الجسمية انتباه الآخرين لأنه يخترق حدود الأفراد والمجموعات ويرغمهم على إبداء سلوك معين.

ولفهم الأبعاد المختلفة التي هيكلت هذا الموضوع الاجتماعي (النقال) تظهر مسألة الكياسة أو قلة الأدب مركزية لتعريف الهاتف كموضوع يظهر في الفضاء العام ويرغم على إعادة تعريف حدود الخاص/العام، ويظهر البعد الأول على نطاق واسع وهذا الموضوع الاجتماعي الجديد تعرض للاستنكار أساسا لأنه وضع القواعد الاجتماعية المتعلقة بالكياسة في الفضاءات العامة موضع تشكيك، ويتهم المتصل (le branché) بأنه يتجاهل المارة غير المعروفين، ويزعج بواسطة النغمات وأيضا بواسطة الحوار كل من كان يسمع في القطار أو الحافلة وغير ذلك، والإزعاج والإثارة الذي يمكن أن يحصل من هذا الحوار ما كان ليحصل لو تم بين شخصين³⁷.

ب. الهاتف النقال داخل العلاقات الأسرية:

كما جذب الهاتف النقال اهتمام مزودي خدماته، فقد جذب اهتمام السوسيولوجيين والبيداغوجيين المهتمين بدراسة الشباب وكذا بالعلاقات الاجتماعية وروابطها ساعين لتقييم قضايا التكنولوجيا للجيل الجديد: هل ستقوي الروابط الاجتماعية أو ستؤدي إلى إفلاس ثقافي لأولئك الذين تعودوا عليه؟ على سبيل المثال اللغة المبسطة للرسائل النصية؟ وهل سيساعد الهاتف النقال على الإبداع أم أنه واسطة تعمل على نشر المحتوى الخطير المضر بالمراهقين؟³⁸

لقد استخدم الأولياء الهاتف النقال كوسيلة لمراقبة سلوك أبنائهم وضبطه خصوصا المراهقين منهم. إن أجهزة الهواتف النقالة تستطيع على حد سواء تمكين المؤسسات الاجتماعية من مراقبة أكثر سهولة للأفراد وليس للمراهقين فقط، وكذلك

بعدد معتبر من الفاعلين الاجتماعيين، ولكن هذه الأجهزة نفسها يمكن أن تستخدم للتخلص من كل مراقبة أو سيطرة، ويبدو أن ديناميكية هذه العلاقات تتطور مع تطور تقنيات الهاتف النقال... إن الآباء جعلوا من الهاتف النقال وسيلة لمراقبة أبنائهم لمعرفة أماكن تواجدهم ومن هم بصحبته ولخدمتهم عندما يكونوا بحاجة إلى ذلك، أما الأبناء فيستعملون النقال لإبقاء العلاقة مع آبائهم والتحايل في قطعها عندما يريدون الخروج من دائرة السيطرة والمراقبة³⁹. وفي إطار العلاقة الزوجية فإن تشارك الزوجين في الهاتف المحمول أحدهما مع الآخر مسألة بالغة الأهمية، فقد ثبت أن كلما ارتفع المستوى التعليمي لأحد الزوجين كلما كان هاتفه أكثر فردية، وتبلغ فردية الهاتف درجة أكبر كلما كان عمر أحد الزوجين أكبر فالفئة بين (45-50 سنة) لها استخدام فردي أكبر من فئة الشباب. إن هناك علاقة بين نمط العلاقة الزوجية واستخدامات النقال في درجة الميل إلى الفردية أو درجة الانسجام والانصراف بين الزوجين، فالنمط الذي يميل إلى الفردية لا يتشارك هاتفه على عكس النمط الثاني⁴⁰.

إن اعتبار النقال وسيلة شخصية في الحياة الزوجية يدل على وجود رغبة أحد الطرفين في عدم إطلاع الطرف الآخر على محتوى الجهاز من قوائم المتصلين أو الرسائل القصيرة أو الصور والفيديوهات وغير ذلك، حيث تطرح هنا مرة أخرى إشكالية الحرية الفردية وضوابط العلاقة الزوجية، فعدم الرد على مكالمة بعد رؤية المتصل والانزعاج من رسالة قصيرة والسرعة في حذفها أو تلقي رسالة بسبيل الخطأ، فيها خدش للحياء، وإطلاع أحد الزوجين عليها، وكذلك إجراء المكالمات بصوت خافت وفي مكان مترو في أوقات متأخرة من الليل كلها تصرفات يضع الهاتف النقال فيها العلاقة الزوجية على المحك بما يثيره من الشكوك والمخاوف، يترتب عنها عواقب سلبية كثيرة تبلغ بعضها حد الطلاق.

خاتمة:

إن ما سبق عرضه فيض من غيظ، لأن دخول الهاتف المحمول على حياة المجتمعات المعاصرة هو دخول لعنصر أو عامل فعال مؤثر على سلوك البشر وعلاقاتهم. ومع ازدياد انتشاره وسهولة استخدامه تنوعت علاقات مختلف الفئات الاجتماعية به وأثار ظواهر اجتماعية كانت محل اهتمام السوسيولوجيا رغبة في فهمها والوقوف على العوامل والأسباب المتحكمة فيها، وتظهر الضرورة الملحة لذلك في كون هذه الوسيلة التكنولوجية ليست من إنتاج أفراد مجتمعنا ولا من وحي تصوراتهم وابتكارهم أو تصميمهم، فالمبتكر والمصمم والمنتج خارجي أما المستهلك والمستخدم فله ثقافة أخرى، مما لا يدع مجالاً للشك أن النقال كوسيلة تكنولوجية يمكن أن يحدث في المجتمع ما لا يمكن توقعه والملاحظ أن المجتمع الجزائري ليس بمنأى عن ذلك مما يستدعي وجود دراسات كثيرة خصوصاً منها الدراسات السوسيولوجية لأن الجدل ما زال قائماً بشأن طبيعة جوانب تأثيره الأكثر انتشاراً، هل هي الجوانب الإيجابية أو الجوانب السلبية؟

- ¹ - Céline Ségur : Philippe Breton, Serge Proulx, l'explosion de la communication à l'aube du XXI^e siècle <http://questionsdecommunication.revues.org/5851>, p02 (26/01/2016).
- ² - Ergur Ali Büyüközkan Gülçin: TIC individualisées comme voies d'émancipation, moyens de présence publique et stratégies identitaires des jeunes en Turquie, XVIII^e congrès international des sociologues de langue française, Istanbul (7-11 juillet) 2008, université GalataSaray. <http://w3.aislf.univ-tls2.fr>, p33
- ³ - Institut Kervégan : Nouvelles Technologie, un débat sur les innovations et leur impact sociétal, Nantes, 2009, Goubault imprimerie, p26.
- ⁴ - أنتوني غدنز: علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، 2005، ص 501.
- ⁵ - سعد بن محارب المحارب: الإعلام الجديد في السعودية، جداول للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، سنة 2011، ص26.
- ⁶ - <http://www.techno-science.net/?onglet=glossaire&definition=4172> (22/02/2016).
- ⁷ - إسماعيل بن وصفي غانم الآغا: سوء استخدام تقنية الأنترنت والجوال ودورها في انحراف الأحداث بدول مجلس التعاون الخليجي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، سنة 2009، ص 21.
- ⁸ - سعد بن محارب المحارب: مرجع سابق، ص 26.
- ⁹ - www.mptic.dz/ar
- ¹⁰ - Autorité de Régulation de la Poste et des Télécommunication : Rapport Annuel de l'Autorité de Régulation 2014, www.arpt.dz/fr/doc/pub/raa/raa-2014.pdf, p 47 (22/01/2016)
- ¹¹ - <http://www.echoroukonline.com/ara/?news=219091> (15/01/2016).
- ¹² - Doudou Sy : modèle d'analyse des usages des TIC de serge Proulx <http://fr.slideshare.net/sydoudousy/modle-danalyse-des-usages-des-tic-de-s1-proulx>, p 06.
- ¹³ - Francis Jauréguiberry : les Branchés du portable, presse universitaires de France, paris, 2003, p194 (12/01/2016).
- ¹⁴ - أنتوني غدنز: مرجع سابق، ص 520.
- ¹⁵ - Galia Tapiero : un objet de désir : le téléphone portable de marc espace temps, net, objet, 19, 06, 2006. <http://www.espacetemps.net/articles/un-objet-de-desir-le-telephone-portable-de-marc>, (25/01/2016)
- ^{*} - Institue De l'Audiovisuel et des Télécommunications en Europe.
- ¹⁶ - Corinne Martin : Représentations sociales du téléphone portable chez les adolescents et leur famille, thèse de doctorat, université de Metz, 2004 http://www.marsouin.org/IMG/pdf/CM_S3C1_norm.pdf, p 12.
- ¹⁷ - lise Renaude : les représentations du Téléphone Mobile : des imaginaires aux pratiques. <http://lesenjeux.u-grenoble3.fr/2007-meotic/Renaud/index.html>, (26/01/2016)
- ¹⁸ - Françoise Massit-Folléa : Usages des technologies de l'information et de la communication : acquis et perspectives de la recherche. http://c2so.ens-lyon.fr/IMG/pdf/rechercheUsages_FMF_LFM.pdf, p01.
- ¹⁹ - Patrice Flichy et Pascal Périn : les études sociologiques. www.infoamerica.org/documentos_pdf/flichy_est.pdf, p 03.
- ²⁰ - حسن عماد مكاوي وآخرون: تكنولوجيا المعلومات والاتصال، الدار العربية للنشر والتوزيع، سنة 2009، ص170.
- ²¹ - Corinne Martin : le Téléphone Portable : machine à communiquer du secret ou instrument de contrôle social ? www.persee.fr/doc/colan_0336_1500_2003_num_136_1_3209, p 93 (20/02/2016).

- ²² - lise Renaud : OP.CIT (26/01/2016).
- ²³ - Doudou Sy : OP.CIT, p 05.
- ²⁴ - Francis Jauréguiberry, Serge Proulx : Usages et enjeux des technologies et communication, éditions érès, Toulouse, 2011, p 50.
- ²⁵ - Patrice Flichy : Présentation : Perspectives pour une sociologie du téléphone http://www.persee.fr/doc/reso_0751-7971_1997_num_15_82_3055, p 07 (28/01/2016)
- ²⁶ - Corinne Martin: Représentations sociales du téléphone portable chez les adolescents et leur famille, OP.CIT, p 20.
- ²⁷ - Patrice Flichy: OP.CIT, p 8.
- ²⁸ - Chems Eddine Chitour : la révolution du portable : les dangers de l'addiction <http://www.legrandsoir.info/la-revolution-du-portable-les-dangers-de-l-addiction.html>, (27/05/2014).
- ²⁹ - Corinne Martin : le téléphone portable et nous en famille, entre amis, au travail https://books.google.dz/books?id=rgQIE_VvgIEC&printsec=frontcover&dq=le+t%C3%A9l%C3%A9phone+portable+et+nous.+en+famille,+entre+amis,+au+travail&hl=ar&sa=X&ved=0ahUKEwiX0JeewofMAhWDvxQKHwIWB18Q6AEIHTAA#v=onepage&q=le%20t%C3%A9l%C3%A9phone%20portable%20et%20nous.%20en%20famille%2C%20entre%20amis%2C%20au%20travail&f=false, p09 ().
- ³⁰ - Francis Jauréguiberry : l'usage du téléphone portatif comme expérience sociale, In Réseaux, 1997, volume 15 N° 82-83, pp 149-165 http://www.persee.fr/doc/reso_0751-7971_1997_num_15_82_3061, p152 (31/03/2016).
- ³¹ - Francis Jauréguiberry : les Branchés du portable, OP.CIT, pp 135-136.
- ³² - Thilo Von Pape : Diffusion et appropriation du téléphone portable par les adolescents : évolution des usages et enjeux sociaux http://thilovonpape.de/publications/von_pape_2007_diffusion_et_appropriation_du_telephone_portable.pdf (10/08/2013).
- ³³ - Ergur Ali Büyüközkan Gülçin: OP.CIT, p 34.
- ³⁴ - Corinne Martin : téléphone portable et images mobiles, de nouveaux usages sociaux de la photographie chez les jeunes, Istanbul (7-11 juillet) 2008, université GalataSaray. <http://w3.aislf.univ-tls2.fr>, p127.
- ³⁵ - IBID, p 127.
- ³⁶ - Francis Jauréguiberry : Lieux publics, téléphone mobile et civilité http://www.persee.fr/doc/reso_0751-7971_1998_num_16_90_3187, p72 (18/03/2016).
- ³⁷ - IBID, pp 98-99.
- ³⁸ - Thilo Von Pape : OP.CIT
- ³⁹ - Nicola Green : qui surveille qui ? Contrôler et rendre des comptes dans les relations de téléphone mobile <http://www.cairn.info/revue-reseaux-2002-2-page-250.htm>, (16/02/2016).
- ⁴⁰ - Oliver Martin, François Singly : le téléphone portable dans la vie conjugale. <http://www.cairn.info/revue-reseaux-2002-2-page-212.htm>, (23/02/2016).